

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 21 العدد 01 2025/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأنثروبولوجيا المعرفية عند سيد قطب

cognitive anthropology according to sayyid Qutb

جرني محمد*

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر -

djerfimoahammed@yahoo.fr

تاريخ القبول : 2024/12/11

تاريخ الاستلام : 2024 /11/30

الملخص:

التكامل المعرفي في منظور سيد قطب هو ذاك التناسق والتفاعل الإيجابي بين وظيفة هذا الإنسان المستخلف في هذه الأرض، وبين وظيفة هذا الكون الفسيح وفق الناموس الذي سطره الله سبحانه وتعالى. وعليه فالإسلام يدع للعقل البشري وللعلم ميدانا واسعا كاملا، فيما وراء أصل التصور ومقوماته، ولا يقف دون العقل يحصره عن البحث في الكون، بل هو يدعو إلى هذا البحث ويدفعه إليه دفعا. ولا يقف دون العلم البشري في المجال الكوني، بل هو يكل أمر الخلافة لله، في حدود التصور الرباني، للعقل البشري وللعلم البشري.

الكلمات الدالة : التكامل - المعرفي - سيد قطب - العقل - التصور - التناسق - الإيجابي.

Abstract:

cognitive integration, in Sayyid Qutbs perspective, is that harmony and positive interaction between the function of this backward man on this earth, and the function of this vast universe in accordance with the law that God Almighty has written,

Keywords: Integration - Cognitive - Sayyid Qutb - Mind – Perception - Consistency - positive.

* المؤلف المرسل : جرني محمد، الإيميل : djerfimoahammed@yahoo.fr

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه من المنظور الإسلامي أن القرآن الكريم هو المرجع الأساسي للاجتهادات العلمية والفكرية في معالجة القضايا التي تطرأ على الأمة الإسلامية من حين لآخر. ولهذا لم يعد التكامل المعرفي من نافلة القول، بل أصبح أمر ضروري تفرضه الحاجة للحفاظ على علوم الأمة ومكوناتها الثقافية والملاحظ أن التكامل المعرفي في الثقافة الإسلامية قد اختل، نتج عنه ازدواية في الشخصية الإسلامية في ميدان التفكير والسلوك، ووقع انفصام بينهما أفقد الأمة قدرتها على التحرر من التخلف في مجمل الميادين سياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً، وأصبحت أمة مستهلكة غير قادرة على الإسهام في البناء الحضري. وعليه فإن الشخصية الإسلامية إذا لم تبني معرفتها وفق المنهج الإسلامي "فستبقى شخصية غير متكاملة، وإذا بقيت كذلك، فإننا لا نستطيع أن نبلغ مصاف الآخر المتقدم، لأن الآخر يقف من المشكلات الفكرية، موقف المظنن اعتقاداً، وفكراً، ونحن نقف منها موقف المتردد المفتون، الذي لا يمكن أن يبلغ بفتنته الفكرية، ما بلغه الآخرون، فهذه مشكلتنا التي ليست مشكلة الأمم، بل وليست مشكلة اليوم، ولكنها مشكلة الغد." (عاشور، 1974)

إن الاستناد إلى المرجعية الأساسية والرئيسية للعلوم الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية يقوي العلاقة التكاملية بين الجهد البشري في ميدان العلم والفكر للبحث والكشف عن السنن والقوانين الماثرة في الكون المحكوم بالزمان والمكان، وبين نص الوحي المعصوم المتعالي على حدود الزمان والمكان. ولقد وضع القرآن الكريم أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة، وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها في حياتها المستمرة، واستنباط وسائل تنفيذها حسب ظروف الحياة وملابساتها دون اصطدام بأصول المنهج الدائم.

والإشكالية المطروحة اليوم هل في مقدور الفكر الإسلامي تبليغ مضمون الخطاب الإسلامي تبليغاً صحيحاً سليماً يكون في مستوى عالمية وشمولية الرسالة المحمدية. وقد تشكل في ذهن البعض منهجاً يحث على الفصل بين العلم والإيمان وعزل الوحي عن الحياة الإنسانية وإحداث قطيعة بين النقل والعقل.

إن الإنسان كمركز لهذا الوجود، والقوة الفاعلة فيه تتناسق جهوده ومجهوداته ذات الآثار الإيجابية في الكون مع السنن الإلهية الشاملة له. فالإنسان ليس عدواً للطبيعة، بل كل واحد منهما يعمل ضمن الناموس الذي

خلقه الله من أجله، فينتج ذلك التكامل المتناسك بينهما وتشيع السعادة والصلاح والقيم الفاضلة التي تعود على الإنسان والكون بالآمان والإطمئنان. وإذا وقع اصطدام بينها عمت الشقاوة والاضطراب والتعاسة، ذلك أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. " فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين مجريات الأحداث في نطاق السنة الإلهية الشاملة للجميع. ولا يوحى بتمزيق هذا الارتباط، ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية، إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى، وينبغي لها أن تطارده، وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم. " (قطب، 1408 هـ - 1988 م) فالتكامل المعرفي في منظور سيد قطب هو ذاك التناسق والتفاعل الإيجابي بين وظيفة هذا الإنسان المستخلف في هذه الأرض، وبين وظيفة هذا الكون الفسيح وفق الناموس الذي سطره الله سبحانه وتعالى.

أولا : سيرة سيد قطب الداتية :

1 - أصله ونشأته : هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية " موشة " إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر. كانت ولادته في أول أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وستة (01/ 10/ 1906م). كما كان أبوه يتمتع بمركز اجتماعي مرموق في القرية يؤمن الناس داره لمعالجة قضاياهم وحل مشاكلهم. وقد عمر طويلا، ثم لقي ربه وابنه يواصل دراسته في القاهرة.

وكانت والدته امرأة صالحة عابدة، تحرص على فعل الخير، قد ساهمت في تربية الأولاد تربية إسلامية. وغرست فيهم أنبل الصفات مثل: الصدق، الإخلاص، الطهر، العزة، الكرامة. (الخالدي، 1989م)

2 . الدراسة والتكوين والوظائف: تعلم سيد في المدرسة الأولية في القرية مدة خمس سنوات وحفظ القرآن في العاشرة من عمره. (1912 . 1918)، كان يحضر الجلسات التي تعقد في منزلهم ويستمع إلى الأحاديث السياسية التي كان يتبادلها المجتمعون في دارهم من العناصر الوطنية في القرية. وكان يطلع على ما تنشره جريدة الحزب الوطني التي كان والده مشتركاً فيها، بل كان ينوب عن والده أحيانا في قراءتها. غادر سيد القرية من أجل إكمال تعليمه وقد استقر عند خاله (أحمد حسين عثمان) الذي كان يشتغل بالتدريس والصحافة في القاهرة. وبواسطته تعرف على الأديب الكبير عباس محمود العقاد الذي فتح له أبواب مكتبته. دخل مدرسة المعلمين ونال فيها شهادتها، ثم التحق بكلية دار العلوم فخرج بليسانس آداب سنة 1933 م عمل مدرسا ثم مفتشا في التعليم الابتدائي، وبعد ذلك أرسلته الوزارة إلى أمريكا سنة 1948 م للتخصص في التربية وصول التربية والمناهج. (الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، 1990م)

3. إنضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين : لما عاد سيد من أمريكا، أنضم إلى الإخوان في سنة 1951م، ثم انتخب عضواً في مكتب الإرشاد للجماعة وعين رئيساً لقسم الدعوة في المركز العام للإخوان. تولى رئيس الجريدة الأسبوعية (الإخوان المسلمون) التي كان يصدرها المركز العام. كما مثل الجماعة في المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي عقد في القدس سنة 1953م. " (عزام ع.، 1990م)
4. تخطيطه ومشاركته في ثورة يوليو: اشترك سيد قطب مع الضباط الأحرار في التخطيط للثورة بفعالية، وشارك في التمهيد لها، وكان قادة الثورة العسكريين يأتون إلى منزله بحلول يسمون الخطط لنجاحها. ولما نجحت الثورة كان سيد قطب موضع احترام وكبار رجالها جميعاً. فكان هو المدني الواحد الذي يحضر جلسات قيادة الثورة أحياناً. ولما اصطدم الإخوان مع حكومة الثورة سنة 1954م كان سيد قطب في مقدمة المعتقلين، وقد لقي أصناف التعذيب الوحشي في السجون. " (العظم، 1400هـ. 1980م)
5. وفاته : حكم عليه بالإعدام شنقاً بتهمة قلب نظام الحكم، ونفذ حكم الإعدام فجرًا اليوم 29 أغسطس 1966. (الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، 1989م)
6. حياته الثقافية فنستطيع أن نقسمها إلى أربع مراحل واضحة :
أ . مرحلة التيه والضياع الفكري : وكتب سيد في هذه المرحلة مقالات وكتب عديدة، وكان ملاصقاً لأستاذه العقاد منافحاً ومدافعاً عنه، فأخذ هذا منه جل وقته وغلب على فكره، نذكر منها ما يلي :
. المقالة الأدبية والنقدية . المقالة الاجتماعية . المقالة السياسية . المقالة الدينية . مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر . الشاطئ المجهول . نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر.
ب . مرحلة الإسلاميات الفنية : ابتدأت في منتصف الأربعينيات تقريباً، حيث أقبل على القرآن الكريم بقصد التدبر الفني والتذوق الجمالي، وكان ينوي تأليف عدة كتب في (مكتبة القرآن الجديدة) الفنية. وقد ألف في هذه المرحلة كتابين هما (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن)
ج . مرحلة الإسلاميات العامة : ابتدأت في الربع الأخير من العقد الأربعيني تقريباً، حيث أقبل على القرآن بقصد الدراسة الفكرية الفاحصة، والنظرة الإصلاحية العميقة. حيث أراد أن يقف على أسس الإصلاح الاجتماعي، ومبادئ التكافل الاجتماعي في الإسلام. والكتب التي تمثل هذه المرحلة بصدق هي (العدالة الاجتماعية في الإسلام) (معركة الإسلام والرأسمالية) و (السلام العالمي والإسلام)

د - مرحلة العمل الإسلامي المنظم : وهي المرحلة التي تعرف فيها على جماعة الإخوان المسلمين، وانتظم في صفوفهم، وفهم الإسلام بشموله. وهذه المرحلة تبدأ من عودته من أمريكا، حتى أدخل هو وإخوانه السجن في نهاية عام 1954. وأبرز كتب هذه المرحلة : (دراسات إسلامية) (هذا الدين) (المستقبل لهذا الدين) (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) (الإسلام ومشكلة الحضارة) وأهمها (في ظلال القرآن) في طبعته المنقحة، وأنضجها (معالم في الطريق)[†]

ثانيا : تعريف المصطلحات : قد نجد بعض المصطلحات لها دلالات عديدة، تستخدم في عدة مجالات معرفية مختلفة، وربما متناقضة، وهذا ما نلاحظه في مصطلح التكامل المعرفي، حيث أن مدلوله في الثقافة العامة ليس نفسه في التخصص المعرفي.

أ - تعريف الأنثروبولوجيا المعرفية : هي دراسة الدين في إطار صلتها مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، ومقارنة المعتقدات والممارسات الدينية عبر الحضارات.

(<https://ar.wikipedia.org>) دراسة الدين بعلم الإنسان)

ب - تعريف التكامل المعرفي : عرفه الدكتور عبد المجيد النجار بقوله : " أن تكون المعارف التي يصل إليها الإنسان بالبحث متكاملة فيما بينها لا يناقض بعضها بعضا. كما تكون متكاملة في تأديتها فيما يريد الإنسان أن يحقق من هدف، والشأن في الوضع المعرفي الإسلامي ألا تكون المعارف فيه إلا متكاملة سواء ما حصل

منها بالوحي أو بالعقل أو بالحس، وذلك اعتبار المعنى الوجدانية الذي تقوم عليه الحياة الإسلامية. (النجار، نظرية التكامل المعرفي عند ابن خلدون، 2011)[‡]

ثالثا : أسس الأنثروبولوجيا المعرفية عند سيد قطب.

ليس هناك عداوة بين المنهج الإسلامي و الإبداع الإنساني ، بل هو الموجه له حتى يقوم بالدور الذي من أجله خلق هذا الإنسان ألا و هو عبادة الله وعمارة الأرض وفق السنن الإلهية. وحتى يقوم بهذا الدور النبيل أودع فيه طاقات مكنونة في مستوى هذا التكليف المتمثل في خلافة الله في الأرض، وسخر له

من القوانين الكونية ما تعينه وتسهل له تحقيق هذا الدور المنوط به، ونسق بين تكوينه البشري وتكوين هذا الكون الفسيح للإبداع والعمل الصالح الذي هو في حد ذاته عبادة لله تعالى.

أ. ثبات العقيدة وتطور الفكر : لا يوجد تصادم بين العقيدة والتفكير في الإسلام ، فللعقل كباقي الحواس حدود ينتهي إليها بالنظر إلى محدودية الإنسان البشرية، فهناك فرق بين ما لا يدركه العقل وما لا يراه، وما لا يتصوره في عالم الغيب والذي هو من مقومات العقيدة الإسلامية الثابتة التي لا يؤثر فيها زمان ولا مكان، أما ماهو محسوس وملمس في عالم الشهادة فللفكر وللعقل أن يجتهد فيه ويدع في حدود المتاحة للعقل البشري وللعلم البشري، بخلاف النصرانية على مختلف مذاهبها فهي تحجر على العقل البشري، وليس للعقل أن يناقش التصورات التي تقرها الكنيسة ولو كانت خاطئة وتخالف الفطرة البشرية، كما ترى أنه كلما تطور الفكر فلا بد للعقيدة أن تتطور. لهذا نجد أن نظرة المسيحية تختلف من إنجيل إلى إنجيل في ما يتعلق بالتواصل والتناسق بين العقيدة والفكر. كما أن نظرتها لعلاقة الإنسان مع خالقه ومع الكون تختلف من مذهب إلى مذهب. وقد حرفت الكنيسة العقيدة وجعلت الإله الواحد ثلاثة أقانيم (تأليه عيسى عليه السلام، ادعاء بنوته لله تعالى، تأليه مريم وروح القدس جبريل علي السلام، اختراع قصة الصلب والفداء، عبادة الصليب). وقد طغى الفكر البشري في هذا العصر واكتسح مفاهيم الدين والأخلاق والرحمة والكرامة الإنسانية، ولم تعد هناك قوة قادرة على مواجهته وصدّه غير الإسلام دين الله الحق الباقي، الحامل رسالة التوحيد إلى العالمين. ولهذا لم يستسلم الفكر الإسلامي الأصيل المنبثق من العقيدة الصحيحة طوال خمسة عشر قرناً أمام الفكر الوافد الغريب، ولن يستسلم في هذا العصر وقد أعلن عن وجهة نظره واضحة في مختلف القضايا، وكشف زيف الدعوات الهدامة والإيدلوجيات الوافدة.

ولقد امتازت العقيدة الإسلامية وتميزت عن باقي العقائد الأخرى كونها ثابتة مقدسة ومختصة بموضوع معين، وهو وجود الله تعالى وصفاته وصفات رسله واليوم الآخر والبعث والنشور، "ومن كونها تفكيراً تتلقى مبادئه وأوائله بصورة التقليد والتسليم للرسول، الموثوق بصدقه لتحصيل العلم بما يجب سلوكه للنجاح في الحياتين، كي يسلم صاحبه من الوقوع في مهاوي الأغلاط في الحياة العاجلة وفي مهاوي الخسران في الحياة الآخرة." (عاشور م.)

ب . التوحيد هو أساس المعرفة : إن عقيدة التوحيد هي لب عقائد الإسلام وأساسه ، ومن مظاهر عناية الإسلام الكبرى بالتوحيد أن جعله شعارا يميزه عن كل الديانات الأخرى سواء الوثنية منا أو الكتابية المخرفة، وأصبح الإسلام يعرف بدين التوحيد. وهو الذي أعطى الحضارة الإسلامية هويتها وقوتها. كما أن مفهوم التوحيد في الإسلام يختلف جذريا عن مفهومه في الديانات السماوية الأخرى، سواء فيما يتعلق بالتصور عن الإله الواحد أو بانعكاس هذا التصور على علاقت الخالق بالمخلوقات.

كما أن التوحيد يعين الإنسان على تكوين شخصيته شخصية متزنة، تعرف للحياة وجهتها، وتوحد غايتها، وتحدد طريقها، فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه في الخلوة والجلوة، وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه في الصغيرة والكبيرة. أما في الديانات السماوية الأخرى فالأمر مختلف تماما سواء في التصور عن الإله (نظرية التثليث عند النصارى) أو في مجال تصرفات المخلوقات فيما يخص حقوق الله تعالى ومحارمه (طقوس العبادات، صكوك الغفران، الحياة الأسرية، المعاملات التجارية)

إن ما يمتاز به صورة التوحيد في العقيدة الإسلامية هو: " تعمقها للحياة كلها، وقيام الحياة على أساسها، واتخاذها قاعدة للمنهج العملي الواقعي في الحياة، تبدوا آثاره في التشريع كما تبدو في الاعتقاد سواء. وأول هذه الآثار أن تكون شريعة الله وحدها هي التي تحكم الحياة.." (قطب، في ظلال القرآن، 1408 هـ . 1988م) إن التوحيد في الإسلام هو المحور الذي تدور حوله كل تصرفات الفرد المسلم، فهو عقيدة في الضمير، ومنهج للحياة، وتفسير للوجود، وليس كلمة تقال باللسان، ولا تصور يستقر في الضمير، وأما ما ينتج عن ذلك من سلوكات وتفرعات في واقع الحياة اليومية للإنسان ماهي إلا الثمرة الطبيعية لاستقرار العقيدة الصحيحة السليمة في قلبه.

ج . غائية تحديد وتوحيد جهة التلقي : قد حرص الإسلام من أول يوم على تحديد وتوحيد الجهة التي يتلقى منها الفرد المسلم والجماعة كل ما ينفعه في دنيا وأخراه عقيدة كانت، أو سلوكا، أو تشريعا. فتوحيد جهة التلقي يعصم الإنسان من التمزق الفكري وتشتيت طاقاته. ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب مثلا رائعا في القرآن الكريم في هذا السياق : {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر الآية 29) فهذا مثلا لمن يعبد إلها واحدا ويتلقى منه الأوامر والنواهي، ومن يعبد آلهة متعددة لا يستطيع تلبية طلبات كل الآلهة في آن واحد، فهما لا يستويان مثلا ولا يتفقا حالا، كما لا يستوي حال العبد الذي

يملكه سادة مشتركون فيه لا يستطيع خدمتهم في وقت واحد، وهم كذلك يتنازعون فيه، لأن كل واحد من السادة يريد أن يستأثر به لخدمته، لا يستوي مع العبد الذي يملكه سيد واحد يعمل، يقوم بخدمته لوحدته لا ينازعه فيه أحد.

لهذا فإن التصور الإسلامي " يكفل تجمع الشخصية والطاقة في كيان المسلم الفرد والجماعة، وينفي التمزق والانفصام والتبدد التي تسببها العقائد والتصورات الأخرى. فالكينونة تواجه ألوهية واحدة تتعامل معها في كل نشاط لها. تتعامل مع هذه الألوهية اعتقاداً وشعوراً، وتتعامل معها عبادة واتجاهاً، وتتعامل معها تشريعاً ونظاماً، وتتعامل معها في الدنيا والآخرة أيضاً. " (قطب، في ظلال القرآن، 1408 هـ. 1988م) إن غياب هذا المبدأ (توحيد وجهة التلقي) في الديانات الأخرى أدى إلى التمزق الفكري في مجال النظرة إلى الإله وما يترتب عليها من علاقات مع الكون والمجتمع، فنجد الرهبانية تعزل أهل البر والصلاح من أفراد المجتمع عن أمور الدنيا ومشاغله وتدفع بهم إلى الخلوات، وهكذا يخلو الجو للمفسدين، حيث ينتشر الشر وتعم الفوضى والرديلة، ويفسد المجتمع، وينشأ صراع الطبقات العرقية، الخواء الروحي، والتفكك الأسري، ولانتحار، والتحلل الأخلاقي.

رابعا : مجالات التكامل المعرفي عند سيد قطب.

الإنسان روح وجسد لهذا جاء الإسلام ليتعامل معه في حدود فطرته التي فطره الله عليها، وحسب قدراته وطاقاته الجسدية والعقلية ضمن الواقع الذي يعيش فيه، ملبياً له حاجياته المعيشية، معترفاً له ببشريته التي يطرأ عليها الجد والنشاط تارة، والضعف والكسل تارة أخرى. كما أودع فيه خاصية يمتاز بها عن باقي المخلوقات ألا وهي العقل الذي هو مناط التكريم، والتشريف، والتكليف. ولم يترك هذا العقل هكذا بل أمدّه بحواس ووسائل وأفسح له هذا الكون وسخره له، وتركه يبحث ويجتهد في ميادين ومجالات المعرفة. والتكامل المعرفي في مفهوم سيد قطب لا ينحصر في زاوية واحدة بل له مجالات كثيرة نذكر أهمها : أ . التكامل بين الدين والعلم : ليس في الدين ما ينافي العلم، ولا يناض ما أثبتته العلم بالبرهان الساطع، وأقام عليه الدين الدليل القاطع. فللدين طريق قويم غايته تطهير النفس، وللعلم طريق قويم غايته كشف اللبس. كما قال الإمام الغزالي : " الدين دواء، والعلم غذاء، وليس الدواء بمغن عن الغذاء، ولا الغذاء بمغن عن الدواء. " (الغلاييني)

ولم يحدث في التاريخ الإسلامي أن عالما يبحث في الطب أو يبحث في الفلك أو يبحث في الطبيعة أو يبحث في الكيمياء، وجد نفسه معزولا عن العقيدة، أو وجد أن العقيدة تعطله عن البحث العلمي الدقيق. ولم تقم الحرب والخصومة في قلب مسلم بين العلم والعقيدة أو بين العلم والدين. " وإنما عاش العلم في ظلال العقيدة يتقدم وينشط، ويصل إلى كشوف علمية هائلة، أقر بها المتعنتون أنفسهم من علماء أوروبا. دون أن يفترق الطريق لحظة أو يحدث الشقاق. ذلك أن العلم كان "فريضة" إلى الله، تؤدي كما تؤدي الصلاة والصيام والزكاة. والمزية في كون العلم فريضة، أنها لم تستخدم قط في الشر أو الإيذاء. وكيف يستخدم العلم في الشر وهو فريضة وعبادة". (قطب، في ظلال القرآن، 1408 هـ - 1988م)

والدين في الإسلام يسير في سبيله داعيا بالمعروف والموعظة الحسنة إلى ما ينقي القلوب من الشوائب ويغسلها من الذنوب، ويظهرها من الأدناس، والعلم يسير في سبيله يحرر العقل من الخرافات، ويبرهن على وجود الله في المخلوقات، وقدرته في تسيير شؤون الكون والكائنات، وهما يلتقيان في هدف واحد وهو خدمة هذا الإنسان. وهذا ما لا يوجد في الديانات الأخرى، بل وجد طغيان الكنيسة ورجال الدين الذين حولوا دين الله المنزل إلى روحانيات صرفة مقصورة على شعائر العبادة ومشاعر التبتل والخشوع والتقوى. كما أن الكنيسة منعت قلوب المؤمنين أن تتصل برؤسها مباشرة بلا وسيط، بل جعلت نفسها الواسطة الوحيدة التي تتصل القلوب عن طريقها بالله.

ومعروف تاريخيا الصراع بين الكنيسة ممثلة في رجال الدين والعلماء. وعليه تولد الانفصام في الشخصية المسيحية واليهودية، وأن الدين يصبح شيء لا وجود له في الحياة الاجتماعية، وأن العلم هو المرجع الأساسي الذي تبنى عليه مسالك الحياة اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا.

هذا النزاع ليس قائما بين العلم والدين، بل هو بين العلم وما ألفه الناس من العادات القبيحة التي يجعلون لها صلة بالدين، وعليه فإنها تثور على كل جديد.

يقول بارتملي سان هيلر : " إن الإسلام قد أحدث رقيا عظيما جدا، فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد، وبين أيدي الكهنة، فارتفع إلى الأولى واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه،

وأن يبحث عن مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة. وإن تحريم الإسلام للصور في المساجد قد خلص الفكر الإسلامي من وثنية القرون الأولى ... والعودة إلى خالقه. " (الجندي، 1985م)
ب. التكامل بين الإيمان والعمل: الإيمان هو أساس الوجود وقاعدة الحياة، كما أن العمل مكرم في الشريعة الإسلامية مادام مشروعاً.

إن حياة الإنسان تقوم على عمل القلب المتمثل في الإيمان، وعمل الجوارح المتمثل في العمل الصالح، فالعلاقة بين الإيمان والعمل كالعلاقة بين البذرة والماء، حيث لا وجود للنبات بدون أحدهما. فالإسلام دعوة إيجابية لإصلاح المعتقد المتمثل في الإيمان، وإصلاح الجوارح المتمثل في العمل الصالح، وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقروناً بالعمل الصالح في أكثر من سبعين آية، وليس مجرد عمل ولكنه يطلب عمل الصالحات، فلا يكاد يذكر أحدهما إلا ملازماً للآخر، وذلك لتنبيه المسلم إلى أهميتهما معاً، فلا يهتم بأحدهما ويهمل الآخر، لأن عنصر السعادة في الدنيا والآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.
"إن الإيمان الصحيح متى استقرت في القلب ظهرت آثاره في السلوك، والإسلام عقيدة متحركة، لا تطبق السلبية، فهي بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقيق مدلولها في الخارج، ولتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع." (قطب، في ظلال القرآن، 1408 هـ . 1988م)

ولكن الإيمان في الديانات الأخرى هو ذاك الشعور الباهت المستكين في القلوب الذي ليس له أي أثر في حياة الفرد، ولا يترتب عليه أي عمل صالح، وحتى العمل الذي يقوم به الفرد لا يتطلع به إلى جزاء أخراوي، وما مقابله من جزاء إنما يكون مادياً أثره محدود في هذه الحياة الدنيا. لأن ذلك الإيمان لم يتحرك حتى ينتج ذلك السلوك السوي، الذي يصلح به الفرد والمجتمع.

لهذا نجد اليهودية قد غلت في أمر الدنيا، فلا تكاد تجد للروحانية أثراً، ولا ترى للآخرة مكاناً، كل الأمور تتعلق بالدنيا ومكاسبها، وفي الطرف الآخر نجد المسيحية قد أهملت أمر الدنيا، وتدعو إلى إلغاء قيمة هذه الحياة. وبين هذه وتلك نجد الإسلام دين التوازن والاعتدال، لا تطغى فيه مطالب الدنيا على مطالب الآخرة، كما جاء ليسع كل الأقطار، ويشعر لكل الطبقات من الأجناس.

ج . التكامل بين العقيدة والعبادة : العبادة في الإسلام هو مجموع ما يحبه الله ويرضاه من أقوال وأفعال. فهي تشمل الفرائض والشعائر التعبدية من الصلاة والصيام والكاة والحج. وتشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد، كما تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية، وعليه فالعبادة تسع الحياة كلها.

إن هدف العقيدة هو إقامة الحياة البشرية على أسس صالحة، ولا تمنع الاستمتاع بالطيبات من الرزق ولا تحرم زينة الله التي أخرجها لعباده، ولا تمنع التنظيم الاجتماعي الذي يقوم على أسس قيمة.

يقول الأستاذ محمد قطب - رحمه الله - "هناك مزية بارزة في العبادات الإسلامية، أنها كلها تمزج بين الدنيا والآخرة، وتصل بين الأرض والسماء. ليس من بينها عبادة خالصة منقطعة الصلة عن عالم الأرض. وإنما كلها تشتمل على جانب تعبدي موجه للسماء مقصود به الآخرة، وتشتمل في الوقت ذاته على جانب عملي موجه لواقع الأرض، ولا تنفصل نتائجها العملية عن عالم الناس." (قطب م.، 1408 هـ. 1988م)

إن الشعائر التعبدية في الإسلام ليست بمعزل عن العقيدة، فكلما كانت العقيدة صحيحة قوية كان السلوك التعبدي والاجتماعي والخلقي سويا، وهذا ما نلاحظه في ثنايا سورة المعون في القرآن الكريم :

"أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ " فهذا تصور فاسد في السلوك العقدي، المتمثل في التكذيب باليوم الآخر، يوم الحساب والجزاء، نتج عنه سلوك أخلاقي فاسد متمثل في عدم الإحسان إلى اليتيم "فَذُلِّكَ الَّذِي يَدْعُ أَلْيَتَيْمَ " ثم نتج عنه سلوك اجتماعي معوج، لا يطعم المسكين والأكثر من ذلك يدعو لعدم إطعام المسكين "وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ" ثم نتج عنه سلوك تعبدي معوج متمثل في عدم المحافظة على الصلاة في وقتها، وجعلها آخر اهتمامته، وإذا صلاها فهو يصلّيها رياء "قَوْلِلَ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ " وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ " سلوك اجتماعي منحرف متمثل في منع ما ينتفع به الناس من الزكاة وأنواع القربات. .

فشعيرة الصلاة في الإسلام لها روح تنبثق عن هذه الروح الالتزام بأوامر الله أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا، وليست طقوسا جوفاء لا أثر لها في حياة الناس. فالصلاة التي لا تؤدي دورها في إيقاظ ضمير صاحبها تكون جثة هامدة تنقصها الحياة.

ولكن الصلاة في الديانة اليهودية والمسيحية قداس يؤدي عبارة عن ترانيم شركية محفوظة في الصدور لا أثر لها في حياة أصحابها لأن منطلقها منطلق فاسد وهي العقيدة.

د . التكامل بين العقيدة والشريعة : " تعد العقيدة في الإسلام الأصل الذي تبنى عليه الشريعة، كونها لا تطبق حق التطبيق إلا في ظل سيادة العقيدة. فالغاية من التكامل بين العقيدة والشريعة هو إرشاد الفرد إلى توحيد الله وعبادته، والإمتثال لأوامره ونواهيه، لتحقيق التوازن في شخصية الفرد بين ما يؤمن به ويعتقد، وما يقوم به من سلوك وتصرف وفق ما شرعه الله.

والشريعة إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير..... وهي متكاملة مع التصور الإسلامي وما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير، ونظافة في الشعور، وضخامة في الاهتمامات، ورفعة في الخلق، واستقامة في السلوك وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية. فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود. " (قطب س.، في ظلال القرآن، 1408 هـ. 1988م)

إن أي تشريع أيا كان لا تحصره العقيدة لا ينتج أثره في حياة الناس، فالنصوص وحدها غير كافية وتبقى بلا روح في واقع الناس ما لم تحركها يقظة الضمير وتقوى الله.

إن أهم إشكاليات العصر الانفصال النكد بين مقررات الشريعة الإسلامية وقواعد النظام القانوني الوضعي. وحتى الصحة الدينية المسيحية ما هي إلا بحثا عن إعادة التوازن للدين الذي الذي أصبح متجاوزا بفعل اختلاف زمنه الاجتماعي عن الزمن العادي.

خامسا :

خاتمة :

إن القرآن كتاب الله ومصدر المنهج الإسلامي، يرسم صورة شاملة للقيم الأساسية، وأصول مناهج المعرفة، والعلوم، وسنن الحياة والكون والحضارات والمجتمعات، حيث يربط البشرية والكون جميعا بخالقها ويعثها وجزائها

من خلال ما تم عرضه في هذا المقال يتبين لنا جليا أن المنهج المعرفي الإسلامي يمتاز برؤية شمولية، فهو لا يفصل بين المعرفة العلمية والدينية.

إن التكامل المعرفي يتمثل في التعاون للوصول إلى نتائج تتوافق والنظرة التوحيدية، وعدم التصادم بين الكتاب المسطور المتمثل في الوحي، والكتاب المنظور المتمثل في الكون.

إن سيد قطب بتدبره للقرآن الكريم اكتشف المنهج التكاملي واستعان به في تفسير العديد من أحوال الإنسان والمجتمع وتقلباته بين صعود ونزول.
بفضل معاشته للقرآن اكتسبت إسهاماته الفكرية أهمية في ساحة الفكر الإسلامي، والمعرفة الإسلامية بصورة عامة، لأنها سدت فراغا في بنية الثقافة الإسلامية، وبلورت مسارا للتواصل والتفاعل مع حركة العلم.

سادسا :

قائمة المراجع

- 1 . ابن عاشور محمد الفاضل . المحاضرات المغربية . تونس . الدار التونسية للنشر . 1974م
- 2 . قطب سيد . في ظلال القرآن ج 1 . مقدمة . دار الشروق . ط 15 . 1408 هـ . 1988 م
- 3 . صلاح عبد الفتاح الخالدي . مدخل إلى ظلال القرآن . دار الشهاب للطباعة والنشر . الجزائر
- 4 . عزام عبد الله . عملاق الفكر الإسلامي . ط 1 . دار الوحدة . الجزائر . 1990 م
- 5 . العظم يوسف . سيد قطب رائد الفكر الإسلامي . دار القلم . دمشق . ط 1 . 1400 هـ . 1980 م
- 6 . موقع <https://ar.wikipedia.org> . دراسة الدين بعلم الإنسان .
- 7 . النجار عبد الحميد . نظرية التكامل المعرفي عند ابن خلدون . السودان . مجلة المعرفة . المجلد 11 . العدد رقم 02 . 2011/12/31 .
- 8 . بن عاشور محمد الطاهر . أصول النظام الاجتماعي . ط 2 . تونس . الشركة التونسية للتوزيع
- 9 . الغلاييني مصطفى . الدين والعلم . بيروت . منشورات المكتبة العصرية .
- 10 . الجندي أنوار . الفكر البشري القديم . تونس . دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع . ط 1 . 1985 م
- 11 . قطب محمد . في النفس والمجتمع . دار الشروق . ط 8 . 1408 هـ . 1988 م .